لرسول الله ﷺ أو للإنسان على الإطلاق، وقد عدد نعمًا ونقمًا وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾.

﴿هذا﴾ القرآن﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي: إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم، أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأوّلين. وقال: الأولى على تأويل الجماعة.

أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾.

﴿أزفت الآزفة﴾ قربت الموصوفة بالقرب. في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة﴾(1) ﴿ليس لها﴾ نفس.

لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾.

﴿كاشفة﴾ أي: مبينة متى تقوم كقوله تعالى: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾(2) وليس لها نفس كاشفة أي: قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله، غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير. وقيل: الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية. وقرأ طلحة: ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية.

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾.

﴿أفمن هذا الحديث﴾ وهو القرآن ﴿تعجبون﴾ إنكارًا.

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾.

﴿وتضحكون﴾ استهزاءً ﴿ولا تبكون﴾ والبكاء والخشوع حق عليكم. وعن رسول الله ﷺ أنه لم ير ضاحكًا بعد نزولها(3). وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو.

وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾.

﴿وأنتم سامدون﴾ شامخون مبرطمون. وقيل: لاهون لاعبون وقال بعضهم لجاريته: أسمدي لنا أي: غني لنا.

فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾.

﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ ولا تعبدوا الآلهة. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النجم: أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة»(4).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة القمر مكية

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾.

انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته. السيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين(5). وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. قال ابن عباس: انفلق فلقتين فلقة ذهبت، وفلقة بقيت(6). وقال ابن مسعود: رأيت حراء بين فلقتي القمر(7). وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة. وقوله:

وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾.

﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ يردّه وكفى به رادّ، وفي قراءة حذيفة: وقد انشق القمر أي: اقتربت الساعة. وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقترفت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم(8). مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله. قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات. قالوا: هذا سحر مستمر وقيل: مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره. وقيل: هو من استمر الشيء إذا اشتدّت مرارته أي: مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر. وقيل: مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنيةً لأنفسهم وتعليلاً. وقرئ وإن يروا.

وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾.

﴿واتبعوا أهواءهم﴾ وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره. ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي: كل أمر لا بد أن يصير إلى غاية يستقر عليها. وإن أمر محمد سيصير إلى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل، وسيظهر لهم عاقبته. أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر. أي: سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة. وقرئ بفتح القاف يعني: كل أمرٍ ذو

(1) سورة القمر، الآية: 1.
(2) سورة الأعراف، الآية: 187.
(3) الثعلبي وابن مردويه في التفسير زيلعي 3/385.
(4) الثعلبي ابن مردويه الواقدي في تفسيرهم زيلعي 3/386.
(5) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة انشقت اقتربت الساعة باب: ﴿وانشق القمر﴾ (الحديث رقم: 4867)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (الحديث رقم: 46 ـ 2802).
(6) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب: سورة= اقتربت الساعة (الحديث رقم: 4868)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب: انشقاق القمر (الحديث رقم: 43 ـ 2800).
(7) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة اقتربت الساعة باب «وانشق القمر» (الحديث رقم: 4864، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب: انشقاق القمر (الحديث رقم: 45 ـ 2801) والحاكم في المستدرك 2/471.
(8) أخرجه الحاكم في المستدرك 4/609.

مستقرّ أي: ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار. وعن أبي جعفر: مستقر بكسر القاف والجرّ عطفاً على الساعة. أي: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾.

﴿من الأنباء﴾ من القرآن المودع أنباء القرون الخالية وأنباء الآخرة، وما وصف من عذاب الكفار ﴿مزدجر﴾ ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له. كقوله تعالى: ﴿لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[1] أي: هو أسوة. وقرئ: مزجر بقلب تاء الافتعال زايًا وإدغام الزاي فيها.

﴿حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾.

﴿حكمة بالغة﴾ بدل من ما أو على هو حكمة، وقرئ بالنصب حالاً من ما.

فإن قُلْتَ: إن كانت موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالاً، فكيف تعمل إن كانت موصوفة وهو الظاهر؟ قُلْتُ: تخصصها الصفةُ فيحسن نصب الحال عنها ﴿فما تغني النذر﴾ نفي أو إنكار وما منصوبة أي: فأي غناء تغني النذر.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾.

﴿فتول عنهم﴾ لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم. نصب ﴿يوم يدع الدَّاع﴾ يخرجون أو بإضمار اذكر وقرئ بإسقاط الياء اكتفاء بالكسر عنها، والداعي إسرافيل أو جبريل. كقوله تعالى: ﴿يوم يناد المناد﴾ ﴿إلى شيء نكر﴾ منكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة. وقرئ: نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾.

﴿خشعًا أبصارهم﴾ حال من الخارجين فعل للأبصار وذكر. كما تقول: يخشع أبصارهم. وقرئ: خاشعةً على تخشع أبصارهم وخشعًا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول: أكلوني البراغيث وهم طيء، ويجوز أن يكون في خشعًا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلاً عنه، وقرئ: خشعٌ أبصارهم على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال. كقوله:

وجدته حاضراه الجود والكرم

وخشوع الأبصار كناية عن الذلة والانخزال لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما. وقرئ: يخرجون من الأجداث من القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ الجراد مثل في الكثرة والتموج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض: جاؤوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرة.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾.

﴿مهطعين إلى الداعي﴾ مسرعين مادي أعناقهم إليه. وقيل: ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم قال:

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

۞ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾.

﴿قبلهم﴾ قبل أهل مكة ﴿فكذبوا عبدنا﴾ يعني: نوحاً.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله تعالى: ﴿فكذبوا﴾ بعد قوله: كذبت؟ قُلْتُ: معناه كذبوا عبدنا أي: كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب. كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح[2] الرسل فكذبوا عبدنا. أي: لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأسًا كذبوا نوحًا لأنه من جملة الرسل. ﴿مجنون﴾ هو مجنون ﴿وازدجر﴾ وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد. وبالرجم في قولهم: لتكونن من المرجومين. وقيل: هو من جملة قيلهم. أي: قالوا: هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾.

قرئ: ﴿أنّي﴾ بمعنى: فدعا بأني مغلوب وإني على إرادة القول. فدعا فقال: إني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي. ﴿فانتصر﴾ فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم، وإنما دعا بذلك بعد ما طم عليه الأمر وبلغ السيل الزبا. فقد روي أنّ الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيًا عليه، فيفيق وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾.

وقرئ: ﴿ففتحنا﴾ مخففًا ومشددًا. وكذلك فجرنا. ﴿منهمر﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣﴾.

﴿وفجرنا الأرض عيونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(2) قال أحمد: قد تقدم كلامه على قوله تعالى: ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي﴾ وأجاب عنه بجو بين، أحدهما: متعذر ههنا، والآخر: ممكن، وهو أن ذلك كقول القائل: أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، وقد مضى لي جوابان: أحدهما: يمكن إجراؤه هنا، وحاصله منع ورود السؤال؛ لأنّ الأوّل مطلق والثاني مقيد، فليس تكراراً وهو = كقوله في هذه السورة ﴿فتعاطى فعقر﴾ فإن تعاطيه هو نفس عقره، ولكن ذكره من جهة عمومه ثم من ناحية خصوصه إسهاباً، وهو بمثابة ذكره مرتين، وجواب آخر هنا، وهو أن المكذب أوّلاً محذوف دل عليه ذكر نوح، فكأنه قال: كذبت قوم نوح نوحاً، ثم جاء بتكذيبهم ثانياً مضافاً إلى قوله: عبدنا، فوصف نوحاً بخصوص للعبودية، وأضافه إليه إضافة تشريف، فالتكذيب المخبر عنه ثانياً أبشع عليهم من المذكور أوّلاً لتلك اللمحة، والله أعلم.

عيون تتفجر، وهو أبلغ من قولك: وفجرنا عيون الأرض، ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبًا. ﴿فالتقى الماء﴾ يعني: مياه السماء والأرض. وقرئ: الماآن أي: النوعان من الماء السماوي والأرضي ونحوه قولك: عندي تمران. تريد ضربان من التمر برني ومعقلي. قال لنا: إبلان فيهما ما علمتم. وقرأ الحسن: الماوان بقلب الهمزة واوًا كقولهم: علباوان ﴿على أمر قد قدر﴾ على حال قدرها الله كيف شاء. وقيل: على حال جاءت مقدّرة مستوية، وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الأرض سواء بسواء. وقيل: على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿على ذات ألواح ودسر﴾ أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه: ولكن قميصي مسرودة من جديد. أراد ولكن قميصي درع وكذلك: ولو في عيون النازيات بأكرع؛ أراد ولو في عيون الجراد، ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح. وهذا من فصيح الكلام وبديعه. والدسر: جمع دسار وهو المسمار، فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه.

تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾.

﴿جزاء﴾ مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي: فعلنا ذلك جزاء ﴿لمن كان كفر﴾ وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورًا لأنّ النبي نعمة من الله ورحمة. قال الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1] فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أنّ رجلاً قال للرشيد: الحمد لله عليك. فقال: ما معنى هذا الكلام؟ قال: أنت نعمة حمدت الله عليها. ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وإيصال الفعل. وقرأ قتادة: كفَر أي: جزاء للكافرين. وقرأ الحسن: جزاء بالكسر أي: مجازاة. الضمير في.

وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾.

﴿تركناها﴾ للسفينة أو للفعلة أي: جعلناها آية يعتبر بها. وعن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على الجودي دهرًا طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. والمدّكر المعتبر. وقرئ: مذتكر على الأصل، ومذكر بقلب التاء ذالاً وإدغام الذال فيها وهذا نحو مذجر.

فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾.

والنذر جمع نذير وهو الإنذار.

وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي: سهلناه للإدكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد. ﴿فهل من﴾ متعظ؟ وقيل: ولقد سهلناه للحفظ وأعنّا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه، قال:

وقمت إليه باللجام ميسرًا ... هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظرًا ولا يحفظونها ظاهرًا كما القرآن.

كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾.

﴿ونذر﴾ وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أو إنذار أتى في تعذيبهم لمن بعدهم.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾.

﴿في يوم نحس﴾ في يوم شؤم وقرئ: في يوم نحِس. كقوله: في أيام نحسات ﴿مستمر﴾ قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعًا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة. وكان في أربعاء في آخر الشهر لا تدور، ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة.

تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾.

﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ يعني: إنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع. منقعر منقلع عن مغارسه. وقيل: شبهوا بأعجاز النخل لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقي أجسادًا بلا رؤوس، وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال: ﴿أعجاز نخل خاوية﴾.

فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾.

﴿أبشرًا منا واحدًا﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿نتبعه﴾ وقرئ: أبشرٌ منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأوّل أوجه للاستفهام. كان يقول إن لم تتبعوني

(1) سورة الأنبياء، الآية: 107.

كنتم في ضلال عن الحق. وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إذن كما تقول. وقيل: الضلال الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر الجنون. يقال: ناقة مسعورة. قال:

كأن بها سعرًا إذا العيس هزها   نميل وإرخاء من السير متعب

فإن قُلْتَ: كيف أنكروا أن يتبعوا بشرًا منهم واحدًا؟ **قُلْتُ:** قالوا أبشرًا؟ إنكارًا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة. وقالوا: منا. لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى. وقالوا: واحدًا. إنكارًا لأن تتبع الأمّة رجلاً واحدًا، أو أرادوا واحدًا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم:

أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾.

﴿ألقي الذكر عليه من بيننا﴾ أي: أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة **﴿أشر﴾** بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبة التعظم على ادعاء ذلك.

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾.

﴿سيعلمون غدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة **﴿من الكذاب الأشر﴾** أصالح أم من كذبه. وقرئ: ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبًا لهم، أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات. وقرئ: الأشر بضم الشين. كقولهم: حدث وحدث، وحذر وحذر، وأخوات لها. وقرئ: الأشرّ: وهو الأبلغ في الشرارة والأخير. والأشر أصل قولهم: هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض. وقد حكى ابن الأنباري قول العرب: هو أخير وأشر، وما أخيره وما أشره.

إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾.

﴿مرسلوا الناقة﴾ باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا **﴿فتنةً لهم﴾** امتحانًا لهم وابتلاءً. **﴿فارتقبهم﴾** فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون **﴿واصطبر﴾** على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾.

﴿قسمة بينهم﴾ مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم، وإنما قال: بينهم. تغليبًا للعقلاء. **﴿محتضر﴾** محضور لهم أو للناقة. وقيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها.

فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾.

﴿صاحبهم﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود **﴿فتعاطى﴾** فاجترأ على تعاطي الأمر التعظيم غير مكترث له. فأحدث العقر بالناقة. وقيل: فتعاطى الناقة فعقرها، أو فتعاطى السيف.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾.

﴿صيحة واحدة﴾ صيحة جبريل، والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر. والمحتظر الذي يعمل الحظيرة، وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم. وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾.

﴿حاصبًا﴾ ريحًا تحصبهم بالحجارة أي: ترميهم **﴿بسحر﴾** بقطع من الليل وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران فالسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه. وأنشد:

مرت بأعلى السحرين تدأل

وصرف لأنه نكرة. ويقال: لقيته سحر إذا لقيته في سحر يومه.

نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾.

﴿نعمةً﴾ إنعامًا مفعول له **﴿من شكر﴾** نعمة الله بإيمانه وطاعته.

وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾.

﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط عليه السلام **﴿بطشتنا﴾** أخذتنا بالعذاب **﴿فتماروا﴾** فكذبوا **﴿بالنذر﴾** متشاكين.

وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾.

﴿فطمسنا أعينهم﴾ فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة: خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط **﴿فذوقوا﴾** فقلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة.

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾.

﴿بكرة﴾ أوّل النهار وباكره كقوله: مشرقين ومصبحين. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: بكرة غير منصرفة. تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين إذا أردت التنكير وبغيره إذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته. **﴿عذاب مستقر﴾** ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

فإن قُلْتَ: ما فائدة تكرير قوله: ﴿فذوقوا عذابي ونذر لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾؟ **قُلْتُ:** فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأوّلين ادكارًا واتعاظًا وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة. وهكذا

حكم التكرير كقوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾[1] عند كل نعمة عدَّها في سورة الرحمن. وقوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾[2] عند كل آية أوردها في سورة. والمرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان.

﴿النذر﴾ موسى وهرون وغيرهما من الأنبياء لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو جمع نذير وهو الإنذار.

كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾.

﴿بآياتنا كلها﴾ بالآيات التسع. ﴿أخذ عزيز﴾ لا يغالب ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شيء.

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾.

﴿اكفاركم﴾ يا أهل مكة ﴿خير من أولئكم﴾ الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون. أي: أهم خير قوّة وآلة ومكانة في الدنيا، أو أقل كفرًا وعنادًا. يعني: أنّ كفاركم مثل أولئك بل شر منهم. ﴿أم﴾ أنزلت عليكم يا أهل مكة ﴿براءة﴾ في الكتب المتقدّمة أنّ من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾.

﴿نحن جميع﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿منتصر﴾ ممتنع لا نلام ولا نضام. وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدّم في الصف وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت.

سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾.

﴿سيهزم الجمع﴾ عن عكرمة: لما نزلت هذه الآية قال عمر: أي جمع يهزم؟ فلما رأى رسول الله ﷺ يثب في الدرع ويقول: سيهزم الجمع. عرف تأويلها[3]. ﴿ويولون الدبر﴾ أي: الأدبار. كما قال:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

وقرئ: الأدبار.

﴿أدهى﴾ أشدّ وأفظع، والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه. ﴿وأمر﴾ من الهزيمة والقتل والأسر. وقرئ: سنهزم الجمع.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾.

﴿في ضلال وسعر﴾ في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة.

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾.

﴿مس سقر﴾ كقولك: وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب، لأنّ النار إذا أصابتهم بحرها ولحفتهم بإيلامها فكأنها تمسهم مسًا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم. وذوقوا على إرادة القول. وسقر علم لجهنم من سقرته النار، وصقرته إذا لوحته. قال ذو الرمّة:

إذا ذابت الشمس اتقي صقراتها ... بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث.

إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾.

﴿كل شيء﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر[4] وقرئ كل شيء بالرفع. والقدر: التقدير. وقرئ: بهما. أي: خلقنا كل شيء مقدّرًا محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدّرًا مكتوبًا في اللوح معلومًا قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه.

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾.

﴿وما أمرنا إلا واحدة﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين ﴿كلمح بالبصر﴾ أراد قوله: ﴿كن﴾ يعني: أنه إذا أراد تكوين شيء لم يلبث كونه.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾.

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 13.

(2) سورة الطور، الآية: 11.

(3) عبد الرزاق في تفسيره والطبراني في معجمه الأوسط وإسحاق بن راهويه في مسنده زيلعي 3/391.

(4) قال أحمد: كان قياس ما مهده النحاة اختيار رفع كل، لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة، وإنما كان كذلك؛ لأنّ الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان، فالرفع أخصر مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الأصناف الستة، أعني الأمر والنهي إلى آخرها، ولا أجد هنا مناسب عطف ولا غيره مما يعدّونه من محال اختيارهم للنصب، فإذا تبين ذلك فاعلم أنه إنما عدل عن الرفع إجماعاً لسر لطيف يعين اختيار النصب، وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي خلقناه صفة لشيء ورفع قوله: بقدر خبراً عن كل شيء المفيد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر، فافهم ذلك أنّ مخلوقاً ما يضاف إلى غير الله= = تعالى ليس بقدر، وعلى النصب يصير الكلام: إنا خلقنا كل شيء بقدر، فيفيد عموم نسبة كل مخلوق إلى الله تعالى، فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرفع، مع ما في الرفع من نقصان المعنى، ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تاماً واضحاً، كفلق الصبح لا جرم أجمعوا على العدول عن الرفع إلى النصب، لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات إلى مخلوق الله ومخلوق لغير الله، فيقولون: هذا لله بزعمهم وهذا لنا، فغرت هذه الآية فاه، وقام إجماع القرّاء حجة عليه، فأخذ يستروح الشفاء وينقل قراءتها بالرفع، فليراجع له ويعرض عليه إعراض القرّاء السبعة عن هذه الرواية مع أنها هي الأولى في العربية، لولا ما ذكرناه أيجوز في حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظاً ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا، وهو المخير فيما يحكم به، فإلى الله ترجع الأمور.

﴿أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم.

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾.

﴿في الزبر﴾ في دواوين الحفظة.

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾.

﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مستطر﴾ مسطور في اللوح.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾.

﴿ونهر﴾ وأنهار اكتفى باسم الجنس. وقيل: هو السعة والضياء من النهار. وقرئ بسكون الهاء، ونهر جمع نهر كأسد وأسد.

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾.

﴿في مقعد صدق﴾ في مكان مرضيّ. وقرئ: في مقاعد صدق ﴿عند مليك مقتدر﴾ مقرّبين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»(1).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الرحمن مكية

عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدّم أوّل شيء ما هو أسبق قدمًا من ضروب آلائه(2) وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه. لأنه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرًا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها. وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علمًا بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأن العرض في إنشائه كان مقدّمًا عليه وسابقًا له. ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب(3) عما في الضمير.

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾.

و ﴿الرحمن﴾ مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذلك، كثرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد فما تنكر من إحسانه.

ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾.

﴿بحسبان﴾ بحساب معلوم وتقدير سوى ﴿يجريان﴾ في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب.

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾.

﴿والنجم﴾ والنبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول، ﴿والشجر﴾ الذي له ساق. وسجودهما: انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيهًا بالساجد من المكلفين في انقياده.

فإن قُلْتَ: كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن؟ قُلْتُ: استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره. كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له.

فإن قُلْتَ: كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد؟ قُلْتُ: بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدّمته. ثم ردّ الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف.

فإن قُلْتَ: أي: تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قُلْتُ: إنّ الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل. وأنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر. وقيل: علم القرآن جعله علامة وآية. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الإنسان آدم.

---

(1) أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي والزيلعي 3/392.

(2) قال أحمد: نغير من هذا الكلام قوله: أنّ خلق الإنسان كان الغرض فيه، أي: المراد منه أن يحيط علماً بالكتب والوحي، ويعوّض بأن المراد بخلقه أن يدعى إلى ذلك، لا أن يقع ذلك منه، فهذا هو المراد العام، ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علماً بالدين فيسر له ذلك، ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق، والله الموفق للصواب.

(3) قال أحمد: وإنما خص الجمل الأول بذكرها تبكيتاً للإنسان لأجل= = التصاق معانيها به، ألا ترى أنه مذكور فيها نطقاً وإضماراً وحذفاً مدلولاً عليه في الكلام، فهو منطوق به مظهراً في قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ ومضمراً في قوله: ﴿علمه البيان﴾ ومدلولاً على حذفه في قوله: ﴿علم القرآن﴾ فإنه المفعول الثاني أمّا قوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان﴾ فليس للإنسان فيهما ذكر البتة، وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى.

obeikandi.com